الأدب في صدر الإسلام

1-الإسلام والشعر

أ-القرآن والشعر تباينت آراء الدارسين حول الآيات التي ذكر فيها الشعر والشعراء وتركت لديهم بعض الغموض عند محاولة تفسيرها وإيضاح معانيها حتى ظن البعض منهم أن القرآن يعادي فن الشعر وقائليه بل ذهب بعضهم إلى أن الشعر في صدر الإسلام قد ضعف وهانت مكانته وتعطلت وظيفته.وقد يتضح موقف القرآن من الشعر أكثر عند حصرهذه الآيات التي وردت في ستة مواضع وهي كالتالي

1-قوله تعالى بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون

2-قوله تعالى"وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين". .
3-قوله تعالى ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين
4-قوله تعالى فذكرفما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون.قل تربصوا فإني معكم من المتربصين". .
5-قوله تعالى"فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون".

ففي هذه الآيات القرآنية الكريمة نجد الله سبحانه ينزه الرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يكون شاعرا كما ينزهه عن ان يكون ساحرا اوكاهنا.ومعلوم أن الإبداع الذي بهر العرب آنذاك كان هوشعر الشعراء وطلاسم السحرة والكهان.ونفي صفة الشاعرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بسبب آدعاء الشعراء الاتصال بأمور غيبية تلهمهم الشعرالجيد.كما آدعوا أن لكل شاعر جني يلهمه الشعر.إضافة إلى ماكانوا يخوضون فيه من الأباطيل و الغوايات.فالقرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على رسوله وهو لا يشبه أي نمط من أنماط الإبداع الأدبي البشري.(إن هو إلا وحي يوحى).وفي نفي الشعر والشاعرية عن النبي صلى الله عليه وسلم توكيد للنبوة والوحي وتأصيل لكون رسالته سماوية وليست من الخيالات أو الرؤى أو من صنع شاعر.

أما في الموضع السادس وهو محل الخلاف بين الدارسين –حول تفسيره- فنجد قوله تعالى في سورة(الشعراء)"والشعراء يتبعهم الغاوون .ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا.وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"

في هذه الآيات نجد حديثا عن فريقين من الشعراء الفريق الأول مذموم مغضوب عليه. وهم شعراء المشركين الذين كانوا يحاربون الإسلام ويهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويثبطون الناس عن دعوته.والفريق الثاني من الشعراء هو الذي تم استثناؤه من الأحكام السابقة وهؤلاء هم الشعراء المؤمنون الصادقون المحمودون عند ربهم الذين يعملون الصالحات ويدافعون بشعرهم عن دينهم ونبيهم ويستنصرون به على اعدائهم.

وواضح من الآيات السابقة أن القرآن الكريم لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر وإنما هاجم شعرا معينا هو شعر المشركين الذين كانوا يحاربون الله ورسوله بألسنتهم.وهذا الصنف من الشعر هو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم."لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خيرله من أن يمتلىء شعرا".فالشعر ماهو إلا فن من القول قد يوظف في الحق فيكون محمودا وقد يوظف في الباطل فيكون مذموما . .

ب-<u>النبي والشعر</u> كان الرسول صلى الله عليه وسلم على بينة من قيمة الشعر ومكانته لدى العرب وعلى علم بأن قول الشعروتقديره والإعجاب بروائعه يجري في العرب مجرى الدم من العروق ولذلك قال"لن تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين".وكان يعجبه الشعر ويمدح به فيثيب عليه ويقول هو ديوان العرب.وقد سمع الشعر في مسجده وعلى منبره.وهو القائل "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا".وقد عرف الشعراء ما للشعر في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وقلبه فاتخذوا منه وسيلة يستشفعون بها عنده.وكان يستجيب لهم فينصر مستنصرهم ويغيث مستغيثهم ويعفو عن معتذرهم ويرق لمتألمهم .ومن ذلك أنه بلغ رسول الله أن كعب بن زهير هجاه ونال منه فأهدر دمه ثم قدم عليه كعب وأنشده قصيدته اللامية المشهورة فعفا عنه وخلع عليه بردته.

ولما سمع بيت طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

استحسنه وقال "هذا من كلام النبوة".وأنشده النابغة الجعدي هذا البيت

بلغنا السماء مجدا وجودا وسؤددا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم –وقد أحس كأنه يفخر على الطريقة الجاهلية-إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال إلى الجنة يارسول الله.فقال الرسول صلى الله عليه وسلم-وهو مغتبط بتلك الروح التي هذبها الإسلام إن شاء الله.ثم أنشده قوله . . .

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا .

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ناظرا فيه إلى قوله تعالى"خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" وإلى قول الرسول"ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب" فازداد إعجاب النبي به ودعا له بقوله"لا يفضض الله فاك".

ولما سمع قول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عنه إنه" أصدق كلمة قالها شاعر".وكان يعجبه قول عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وعبر عن عن إعجابه به بأن قال "ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة. واستقبل النبي صلى الله عله وسلم وفد تميم الذي جاء لمفاخرته برئاسة عطارد بن حاجب بن زرارة.وقف خطيبهم عطارد فخطب فانتدب ثابت بن قيس للرد عليه ثم أنشد شاعرهم الزبرقان بن بدرقصيدته التي يقول فيها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكان حسان غائبا فبعث إليه النبي ليجيب شاعر بني تميم فحضر وأنشد قصيدته .

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع .

وفي الأخير يعلن وفد بني تميم إسلامه طواعية بعد أن اعترفوا بأن خطيب الرسول أخطب من خطيبهم وشاعره أشعر من شاعرهم . .

ومما يدل على سلطان الشعر ونفوده وخطر أثره العميق على الرأي العام في هذه الفترة هو اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر سلاحا ماضيا ضد خصومه وأعداء دعوته من المشركين.قال للأنصار يستنفر الشعراء منهم للجهاد باللسان"ما يمنع قوما نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟فقام له منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة.وهؤلاء هم الذين قال فيهم رسول الله "هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل".

فموقف الرسول من الشعر يتلخص في القول بأنه كان يعجبه الشعرالذي يتمثل القيم الإسلامية الرفيعة وينفعل بها ويشيد بالعقائد والأخلاق والمثل العليا التي رسمها الإسلام.فما لاءم الروح الدينية او الخلقية من الشعر فهو محمود ومفضل.وقد روي أنه قال"إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه". .

ج-الخلفاء الراشدون والشعر سار الخلفاء الراشدون على خطى النبي صلى الله عليه وسلم في مواقفهم من الشعر والحكم عليه.يروى أن الشاعر لبيد أنشد أبا بكر قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له صدقت.قال

وكل نعيم لا محا لة زائل .

فقال كذبت عند الله نعيم لا يزول

ويروى أن عمر بن الخطاب لما أنشد قول زهير

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

-يعني يمينا أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وهو برهان وبيان يجلو به الحق وتتضح الدعوة-تعجب من معرفة زهير بمقاطع الحقوق حتى قيل "لو أن زهيرا نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ما زاد شيئا على ما قال".

ويروى أن سحيم عبد بني الحسحاس أنشد عمر بن الخطاب قوله

عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر" لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك ".

وكان عمر –كما روي عنه- يتحدث إلى وفود القبائل عن شعرائهم وكان معجبا بشعرزهير ففي رواية أنه قال لابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء الذي لم يعاظل في القوافي ولم يتبع وحشي الكلام قال ومن هو ياأمير المؤمنين؟ قال زهير فلم يزل ينشده إلى ان برق الصبح.

وكان الحطيئة يهجو الأشراف فاضطر عمر إلى حبسه لما هجا الزبرقان بن بدر ولم يطلق سراحه إلا بعد ان استعطفه الحطيئة وأخذ عليه المواثيق أن لا يتعرض بالهجاء إلى الناس.كما هدد عمر النجاشي الحارثي بقطع لسانه عندما هجا بني العجلان.

وفي الختام فإن الخلفاء الراشدين كانوا يستمعون إلى الشعر ويعجبون به ويقدرونه في نطاق القيم الإسلامية وضمن مكارم الأخلاق فكانوا يتناشدون الأشعار ويذكرون أمر جاهليتهم.وكانوا يتناشدون على مسمع ومرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم.ولم

يؤثر عنهم أنهم انصرفوا أو أعرضوا عن الشعر. يروى أن الحسن البصري سئل"أكان أصحاب رسول الله يمزحون؟قال نعم ويتقارضون من القريض وهو الشعر".